مسألة في حكم الباء في قوله تعالى وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ﴾(المائدة:٦) تأليف علي بن الحسين الشريف المرتضى(ت:٤٣٦هـ) دراسة وتحقيق

م.د. علي جبار جلوب العيساوي
وزارة التربية
DR. Ali Jabbar Chaloop AL- Essawy
Ministry of Educatin
lalysawy40@ gmail.com

الملخص:
مما لاشك فيه أن القرآن الكريم خالٍ من أي زيادة أو نقصان, وهذا ما عُدَّ من إعجازه, وقد أهتم الدارسون في محتواه جملةً وتفصيلاً, ومن ذلك الحروف التي كانت محط أنظار الجميع؛ لكونها تعطي معنى يختلف باختلاف مكانها في الجملة, ولأهميتها فقد تصدى الشريف المرتضى لمسألة الحكم بحرف الباء في إحدى الآيات القرآنية, وقد أجاد الشرح والتوضيح بأسلوب سلس وبسيط في الوقت نفسه.
الكلمات المفتاحية: حروف الجر, مخطوط, حرف الباء, دلالة الحروف, مسألة.

Summary:
There is no doubt that the Noble Qur'an is free from any increase or decrease, and this is what is considered a miracle, and the scholars have been interested in its total and detailed content, including the letters that were the focus of everyone's attention because they give a meaning that differs according to their place in the sentence. The Ba'a is in one of the Qur'anic verses, and he has mastered the explanation and clarification in a smooth and simple manner at the same time.
Key words: prepositions, manuscript, letter Baa, the significance of letters, problem.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة وأتم التسليم على خير الآنام محمد النبي, وعلى امتداده الطبيعي في الأرض آله الطيبين الطاهرين, وعلى صحبه الأمجاد من الأخيار المخلَصين.

أما بعد ..

فيعد حرف الباء من الحروف ذات الدلالات المتعددة في اللغة العربية وبقية اللغات؛ لذلك أخذ حيزاً كبيراً من اهتمام كثير من علماء اللغة والفقه والنحو والبحث الحثيث وراء كلّ حرف ورد في القرآن, أو في كلام العرب وبيان قصديته وموطن الشاهد المومى إليه.

وقد تناولها السيد الشريف المرتضى في مسألة فقهية مهمة كانت مثار جدل بين المذاهب الإسلامية استعملها دليلاً شرعياً لتثبيت الحكم بالمسح على الرأس ومقدار الممسوح منه، معتمداً في ذلك على آي الذِكر الحكيم وكلام العرب من نثر وشعر متبعاً في مناقشته لآراء العلماء في هذه المسألة المنهج الإستدلالي الأصولي في عرض المسألة ورد آراء المخالفين بما يمتلكه من خبرة ودراية بأحكام الشريعة واللغة.

وتكمن أهمية الموضوع في محاولة الخروج ولو باليسير من هذه الدرر المكنونة لتوظيفها والاستفادة منها في الحياة العلمية والعملية ولاسيما أن مسألة المخطوط تتناول قضايا عقائدية، ونحوية، ولغوية .

وتقتضي الأمانة العلمية أن نشير إلى أن منشورين قد وردت فيهما هذه الآية التي قام الشريف المرتضى بالاعتماد عليها كحجة لإثبات حكم شرعي والوقوف عند حرف الباء منها وهما: الأول عن مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين في قم المقدسة ضمن موسوعة الشريف المرتضى, وهي عبارة عن استشهاد بما ذكره الشريف المرتضى من آية وتفسير لتكون حجة للناشر في تثبيت حكم فقهي لصالح مذهب الشيعة, لكون هنالك خلاف جوهري مع طائفة أخرى في قضية الوضوء للصلاة, ولم تحمل أي ملمح من ملامح التحقيق, أو غيره سوى ما ذكرناه.

أما ما نُشر في الموضع الثاني والذي عُدَّ عند بعضهم تحقيقاً فهو ضمن دار القرآن في قم المقدسة, والذي قام بالنشر السيد أحمد الحسيني وإعداد السيد مهدي الرجائي في مطبعة الخيام قم المقدسة, إذ إنه لم يرتقِ إلى معنى التحقيق الفعلي, ولم يخرج المخطوط كما أراد له المؤلف, وهذا من أولويات التحقيق, وسوف أُبين مدى وقوع الناشر في أخطاء كبيرة قُمنا بتلافيها عَبر تحقيقنا للمخطوط, ومن تلك المبررات التي دعتنا لإعادة التحقيق هي:

١- لم ترد في النشر أي نسخة من المخطوط التي اعتمد عليها الناشر لمراجعتها.

٢- إن الناشر قد وقع في أخطاء كثيرة في قراءته لمتن المخطوط وهذا يدل على أنه كان على عجالة في نشره للنص الذي حققناه في عملنا هذا.

٣- لم يفصل الناشر الأبيات الشعرية والأمثال والأقوال في متن المخطوط, وكذلك لم يكمل صدر أو عجز البيت الشعري الذي ورد في نص المخطوط في الهامش أو وضعه بين معقوفتين والإشارة له في الهامش, فضلاً عن عدم تخريجهن من أصولهن المعتبرة.
٤- إسقاطه لكلام كثير من المخطوط لم يذكره فيما نُشر وهو موجود في أصل المخطوط.
٥- إضافة بعض الكلمات إلى ما نشره وهو غير موجود في أصل المخطوط.
٦- لم يرقم لصفحات المخطوط أثناء نشره وإعادة كتابته, وهذا ما يجعل هنالك تيه وصعوبة في تتبع الكلام.
٧- لم يعرّف بصاحب المخطوط أو المؤلف قبل الخوض في الكتابة فضلاً عن عدم ذكره لكيفية عمله في التحقيق وكيف تعامل مع الكلمات المرموزة مثل(كك) أو مع الهمزة مثلا.

وبعد ما ذكرناه من مبررات لإعادة تحقيق المخطوط سوف نتعرض للأخطاء التي وقع فيها الناشر ضمن متن المخطوط:

١-(ألا دخلت) والصواب (ألا أدخلت) بحسب نص المخطوط.
٢- (ويكلمنا) والصواب (وتكلمنا) بحسب نص المخطوط.
٣- (ما يغن) والصواب(يعترض) فقد قسم الكلمة على شطرين, وهذا وهم وقع فيه الناشر وتحريف للنص .
٤- بعد جملة(ضربت زيدا نفسه) سقط كلام كثير لم ينتبه إليه الناشر وهو(قلنا قد بينا في غير موضع من كلامنا المتفرق في مواضع ان التأكيد) الى قوله وما شاكل.
٥- بعد كلمة(تزوجت) سقطت كلمة(تمتعت).
٦- (التيقن) والصواب(التعين).
٧- (التحقيق) والصواب(التحقق).
٨- (خبر به) والصواب(خبرته).
٩- (قوة الظن) والصواب(مطلق الظن).
١٠- (غير اعتقاده) والصواب (عن اعتقاده).
١١- (غرض غير قوي) والصواب(ظن غير قوي).
١٢- (ينفر عنه) والصواب(ينفر منه).
١٣- (يقول من قال) سقطت الواو والصواب(ويقول من قال).
١٤- (وإلا اثبات) والصواب(ولا اثبات).
١٥- (كانوا مختلين) والصواب(كانوا محيلين).
١٦- (على صواب) والصواب(على سراب).
١٧- (ويعذروا عليهم) والصواب(يتعذر عليهم).
١٨- (يسيروا الى قوة) والصواب(يشيروا الى قوة).
١٩- (مع اسقاطه) والصواب(مع اسقاط).
٢٠- (كزيادة) والصواب(لزيادة).
٢١- (البر ما) والصواب(الزباء) وهو اسم لشاعرة.
٢٢- (ولكنها سمه) والصواب(ولكنها شيمة).
٢٣- (شمة أناس) والصواب(شيمة أناس).
٢٤- (وقول الشاعر) الصواب(قال الشاعر).
٢٥- (لا يسودنكما) والصواب(لأمر ما يسود يسوده) وهو عجز لبيت شعري.
٢٦- (يعتبر بظاهرها) والصواب(تغير بظاهرها).
٢٧- (المغيرة للمعنى) الصواب(مغيرة للمعنى).
٢٨- بعد جملة (مواضع كثيرة فإن أسئل القرية) سقط كلام كثير وهو(فإن (سل القرية) افصح واخصر من) .
٢٩- (فالأولى) الصواب(فأولى).
٣٠- (لا يغير ظاهر) الصواب(لا يغير بظاهر).
٣١- (ينافي زيادة لا) الصواب(في زيادة لا).
٣٢- (لا الزمن) الصواب(لا ألومن).
٣٣- (تسخرون) الصواب(يسخرون).
٣٤- (ان معنى كلامه) الصواب(ان معنى كلامها).
٣٥- (وأريد ألا يكون) الصواب(ويريد ألا يكون).
٣٦- (لأن من يبرأ) الصواب (لأن من تبرأ).
٣٧- (فقد يبرأ) الصواب(فقد برأ).
٣٨- هنالك زيادة لم ترد في نص المخطوط وهي كلمة (بوأت) في قوله (ولا يقال بوأت) .
٣٩- هنالك زيادة لم ترد في نص المخطوط وهي كلمة(سيدنا) محمد.
٤٠- هنالك زيادة لم ترد في نص المخطوط وهي كلمة(النبي) وآله الطاهرين.

وبعد أن بيّنا الأخطاء الجسيمة التي وقع فيها الناشر في تحقيق هذه المخطوطة صار لزاماً علينا إعادة تحقيقها بما يُليق بها كنسخة مهمة لمؤلف يُعدّ من رجالات اللغة والأدب والدين, واظهارها كما أراد لها المؤلف أن تكون.
أما خطوات العمل في تحقيق هذا المخطوط تقسم على قسمين :
الأول : **الدراسة،** وقد احتوت على ترجمة المؤلف وما يحيط به من حيثيات.
الآخر: **التحقيق،** وقد اشتمل على عدد من الخطوات لإخراج النص كما أراد له المؤلف، خاتماً عملي بفهرس للآيات القرآنية الكريمة والأبيات الشعرية والأمثال العربية, وكذلك قائمة بالمصادر والمراجع التي اعتمدتها في عملي وفهرس المحتويات.
سائلا الله تعالى أن أكون قد وفقت في عملي هذا وإلا، فأستغفر الله وأسأله العفو والسداد وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين..

المؤلف في سطور

اسمه ونسبه:
علي بن الحسين بن موسى بن محمد بن موسى بن إبراهيم بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن أبي طالب(عليهم السلام)[١] .
ولادته ونشأته:
ولد في رجب سنة خمس وخمسين وثلاث مئة, وسنه يومئذ ثمانون سنة وثمانية أشهر وأيام[٢].
ولد في دار أبيه بمحلة باب المحول في الجانب الغربي من بغداد الذي يعرف اليوم الكرخ أيام خلافة المطيع لله بن المقتدر الخليفة الثالث من خلفاء بني العباس.[٣]
مكانته العلمية :
ينقل مؤلف روضات الجنات عن شيخه عز الدين أحمد بن مقبل يقول: لو حلف إنسان أن السيد المرتضى كان أعلم بالعربية من العرب لم يكن عندي آثماً, ويقول: لقد بلغني عن شيخ من شيوخ الأدب بمصر أنّه قال: (والله أني استفدت من كتاب الغرر مسائل لم أجدها في كتاب سيبويه وغيره من كتب النحو[٤]. ويقول أبو العباس النجاشي أنّه (رحمه الله) حاز من العلم مالم يدانهِ فيه أحد في زمانه, وسمع من الحديث فأكثر, وكان متكلماً, شاعراً ,اديباً, عظيم المنزلة في العلم والدين والدنيا [٥].
شيوخه:
تتلمذ على يد الشيخ أبي عبد الله محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي الملقب بالشيخ المفيد, والشيخ الجليل الحسين بن علي بن بابويه القمي أخي الصدوق[٦].
تلامذته:
وممن أخذ عنه العلم والفقه شيخ الطائفة الطوسي(ت١٠٦٧) والشيخ المتكلم الفقيه بن عبد العزيز الديلمي والشيخ أبو الصلاح تقي بن نجم الحلبي, والقاضي السعيد عبد العزيز بن البراج, والسيد المتكلم خليفة المفيد أبو يعلى محمد بن الحسن بن الحمزة الجعفري, والسيد الإمام عماد الدين أبو الصمصام ذو الفقار بن محمد المروزي, والسيد نجيب الدين أبو محمد الحسن الموسوي, والسيد الفقيه بن أبي طاهر الهادي النقيب الرازي, والشيخ الأمام أبو الفتح محمد بن علي الكراجي, وأبو الحسن سليمان الصهرجتي, والشيخ محمد بن محمد البصروي, وأبو عبد الله جعفر بن محمد الدورستي, والشيخ أبو الفضل ثابت بن عبد الله التباني, والشيخ العين أحمد بن الحسن بن أحمد النيسابوري, والشيخ المفيد الثاني أبو محمد عبد الرحمان بن أحمد بن الحسين[٧].

---

[١]- رجال النجاشي , لأبي العباس أحمد بن علي النجاشي ,تح: محمد جواد النائيني , دار الأضواء, بيروت ,١٩٨٨ :٢/ ١٠٢ -١٠٣ .
[٢] الفهرست , لأبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠هـ) , تح : محمد صادق آل بحر العلوم , المطبعة الحيدرية النجف الأشرف , السنة ١٣٥٦هـ - ١٩٣٧ م : ١٠
[٣]عمدت الطالب في أنساب آل أبي طالب , لأحمد بن علي بن عنبة , تح :محمد حسين آل طالقاني , النجف الاشرف , الحيدرية , ط٢ , ١٩٦١م :٢٠٥ .
[٤] - روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات, الميرزا محمد باقر الموسوي الخوانساري الأصبهاني, تح: أسد الله إسماعيليان, مكتبة إسماعيليان, قم المقدسة , ١٣٩١هـ , ج٤ : ٣٠٣.
[٥]- رجال النجاشي : ١٠٣.
[٦]- روضات الجنات : ٢٩٩.
[٧] روضات الجنات : ٣٠٠ ، وينظر : معجم رجال الحديث, لأبي القاسم الخوئي, مطبعة الآداب, النجف الاشرف,١٣٩٣هـ :٢٣٢/١٤.

وفاته:

خمد صوت العلم المدوي وأطفئت شعلة الأدب المضيئة, وتقوض منار الحق المرشد إلى طريق الحق السوي لخمس بقين من شهر ربيع الأول سنة ست وثلاثين وأربعمائة, وصلى عليه ابنه أبو جعفر محمد[٨]. وكان لوفاته صدى مؤلم في الأوساط الدينية والعلمية, إذ ذهب جسده الشريف في إطباق الثرى وبقيتْ ذكراه طيا عبر القرون مشفوعا بالاحترام البالغ.[٩]

آثاره:

من مصنفات كتبه تفسير سورة الحمد, وقطعة من سورة البقرة, تفسير قوله تعالى: ﴿**قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ**﴾[١٠]. ومن غير التفسير كتاب الموضح عن جهة إعجاز القرآن, وكتاب الملخص في أصول الدين, وكتاب الذخيرة, وكتاب جمل العلم والعمل, وكتاب تقريب الأصول, والردّ على يحيى بن عدي, كتاب الردّ على يحيى أيضاً في اعتراضه دليل الموحدين في حدوث الأجسام, وله رحمه الله مسائل كثيرة منها في الإرادة وكتاب تنزيه الأنبياء والأئمة (عليهم السلام), مسألة في التوبة, مسألة في الولاية من قبل السلطان, كتاب الشافي في الإمامة, كتاب المقنع في الغيبة[١١]. وغيرها كثير .

وصف المخطوط :

وهي نسخة فريدة محفوظة في خزانة مكتبة أمير المؤمنين العامة في النجف الأشرف ضمن مجموعة رسائل باسم (رسائل الشريف المرتضى) تحت رقم (٥٧١)، وهي من القطع الصغير، ويُحتمل أنها منسوخة على نسخة المؤلف، ناسخها مجهول، خطها نسخ, حالة المخطوط جيدة تامة، عدد أوراقها(٦) ورقات، وفي كلّ ورقة (١٤) سطراً، وفي كلّ سطر (١١) كلمة .

عملي في التحقيق :

أ- بعد اختيار المخطوط، واتخاذ نسخة مكتبة أمير المؤمنين في النجف الأشرف النسخة الأم، لعدم العثور على نسخ أُخر, قمتُ بنسخ الأصل، وهذه النسخة تحتوي على بعض الكلمات المشطوبة, ويحتمل أنها منسوخة على نسخة المؤلف, وأنّ المتن فيها كامل وخطها واضح ومقروء.

ب- حررتُ النص على وفق القواعد الإملائية المعاصرة, مع الإشارة إلى الاختلاف في رسم بعض الكلمات في الهامش, ومنها تسهيل الهمز.

ت- أشرتُ إلى نهاية صفحات المخطوط باختصار لفظ(وجه) بالحرف (و) وباختصار لفظ (ظهر) بالحرف (ظ) وتكون الإشارة بعد وضعها بين معقوفتين بـ [١/و] أي نهاية وجه الصفحة وكذا بـ [١/ظ] أي: نهاية ظهر هذه الصفحة .

ث- وثقتُ آراء العلماء بالرجوع إلى مصادرهم أو بالرجوع إلى المصادر اللغوية والصرفية والنحوية إن لم أعثر عليها في مصادرهم .

ج- حوتْ المخطوطة على بعض المختصرات ومثال ذلك (كك) تدل على (كذلك) مختصراً اللفظة بحذف ما بين الكافين، و(الظ) وتعني الظاهر، (يق) وتعني يقال، وقد اثبتُ اللفظة كاملة في المتن معتمداً السياق في ذلك.

ح- وضعت عنوانات للموضوعات التي وردت في هذه المسألة، بين معقوفتين[ ].

---

[٨] المصدر نفسه:٢٩٧.

[٩] المصدر نفسه:٢٩٦.

[١٠] الأنعام:١٥١.

[١١] رجال النجاشي :١٠٣- ١٠٤ .

ان حصره ادلة محصورة وهذا يكفيك عن الزيادة بما لا يزيد فائدة

مذهب من سوى بينهما ولو قبل من سلك هذه الطريقة ولنا اذا تعرض

ما اشرنا اليه على ان زيدا ليس بشيء فانه لا يقدر الا على ان يقول لو كان شيئا

لظهرت على يده معجزة وجعل فقد المعجز دليلا على فقد المعجز في نبوته فيقال

شيء يتفصل عن قولك ما انكرت من كونه شيئا ودلالة المعجز على كونه كذلك

انه لو لم يكن شيئا لكان عدما على نفي نبوته دليل واذا فقد المعجز فلا بد من

اثبات نبوته كان دليل الفضل بغير ما ذكرتم والحمد لله رب

العالمين والصلوة على محمد وآله الطاهرين سئلة في كلم الباء في قوله

تعالى واسحوا برؤسكم ليس يمتنع القول بانه من دخول الباء وان لم

يقتض التبعيض في اصل اللغة ولنا اذا دخلت لغير ان تعدي الفعل

جاز ورب من فائدة حتى لم يحمل على افادة التبعيض ان تحمل عليه نحو

قوله تعالى واسحوا برؤسكم بعلوم ان الباء ما دخلت هنا لتعدية

الفعل الى المفعول لانه متعد بنفسه ومع ان يكون دخولها كالعدم

فيجب حملها على افادة التبعيض واذا كان دخوله عبثا فان قيل الا

ادخلت

الا ادخلت للتأكيد اذا اريد به انه يفيد ما افاده المؤكد من غير زيادة

عليه كان عبثا ونحن نتكلم على ما يعترض به من قولهم جاء زيد نفسه و

مررت بزيد نفسه قلنا قد بينا في موضع من كلامنا المتفرق في مواضع

ان التأكيد وما شاكل ذلك من الالفاظ التي يدعى لها على سبيل

التأكيد وبينا ان في ذلك جمع فوائد زائدة على ما في المؤكد فان قيل

أليس كان دخول الباء هيهنا كدخولها في تزوجت امرأة عدوا لا من تزوجت

المرأة وما زيد بقائم وليس عمرو بخارج وليس يكن ادعاء فائدة زائدة

في دخول الباء هيهنا من تبعيض ولا غيره وكما زادوا الباء تأكيدا فقد

زادوا حروفا أخر على سبيل التأكيد حتى قالوا ان في الدار لزيدا وما دخل

هذه اللام الا لتخرج بها في افادة معنى زائد وما هو الا للتأكيد وغير ذلك

مما لا يحصى من الاسئلة الجواب وبالله التوفيق قلنا اما لفظة تزوجت

فلا تتعدى الى المفعول الا بالباء وانما حذفوها في قولهم تزوجت امرأة

تخفيفا كما حذفوها في قولهم ورته والاصل ورثته فيه وبنا ان تزوجت

تضمنت في انه لا يتعدى بنفسه ولا بد من الباء الا اذا اردت التخفيف حذفت

فاما قولهم ما زيد بقايم وليس عمرو بخارج فدخول الباء هيهنا يقتضي التعيين
والتحقق لما خوته او مطلق الظن وليس كذلك اذا اسقط الباء فكانه
مع اسقاط الباء مخبر عن اعتقاده او عن ظن يقوي واذا ادخلها اخبر عن
علم او قوة ظن وكاني بمن يسمع هذا الكلام ينفر منه ويستبعده ويقول
من قال هذا ومن سطره ومن اشار من اهل اللغة الذين هم القدوة في
هذا الباب اليه وليس يجب انكار شيء ولا اشاعته بحجة وقد علمنا ان اهل
اللغة كلهم يقولون قولنا ليس زيد بقايم وما عمرو بخارج اقوى من قولنا
ليس زيد قايما وما عمرو خارجا واذ دخول الباء يقتضي التاكيد والقوة
ولا يزيد على هذه الجملة في التفسير ولو قيل لهم اي قوة ادخم او ليس من
نفي قيام زيد بغيره مخبرا وسببا كما هو كذلك مع ادخال الباء لما قدروا
ان يفسروا القوة الا بما ذكرناه ان اهتدوا اليه والا كانوا محيلين على
سراب ويتعذر عليهم ان يفسروا الى قوة لم يستعد مع اسقاط الباء ونحن نعلم
ان العلم اقوى من الظن والظن اقوى من الاعتقاد والظن بعضه اقوى
من بعض فلا يمتنع ان يكون معنى القوة ما ذكرناه ومثل هذا يجيب عن قولهم

ان في

ان في قول زيد اوانك لقايم لانهم يقولون هذا اقوى وما المراد بالقوة
الا ما ذكرناه والا فما معنى لها وربما ادرت العرب حروفا طلبا لفصاحة
الكلمة وجزالتها وان لم يفد معنى زايدا على ذلك لزيادة ما في قول
الزباء والله ما ذاك لعدم مواس ولا قلة اواس ولكنها شيمة ما انا
وانما اردت شيمة انا س وقولها الا وما جلع يقيرانفه وقولهم لا
ما كان كذا وقال الشاعر هما لا وما نبوء من ليس يود ٥ فكما حذفوا
للفصاحة في مواضع كثيرة فان سل الغربة افصح واخصر من واسئل
الغربة وكذلك قد ادوا للفصاحة وتجاوزوا هذا بان ذادوا حروفا
تغير ظاهرها وقبل الاطلاع على المراد بها المعنى لا يرى ان قولهم ليس
كمثل فلان لحد وقوله تعالى ليس كمثله شيء الكاف فيه زايدة وهي
في لفظ مغيرة للمعنى لانها تقتضي انه لا مثل لمثله وانما المراد به لا مثل
له وكذلك قوله تعالى ما منعك ان لا تسجد انما معناه ما منعك ان تسجد
وقول الشاعر ولا ايوم البيض لا تنكر والمعنى ان تنكر فالا زايدة
وربما دخولها مغير للمعنى قبل التامل وانما حملهم طلب الندلي على الفصاحة

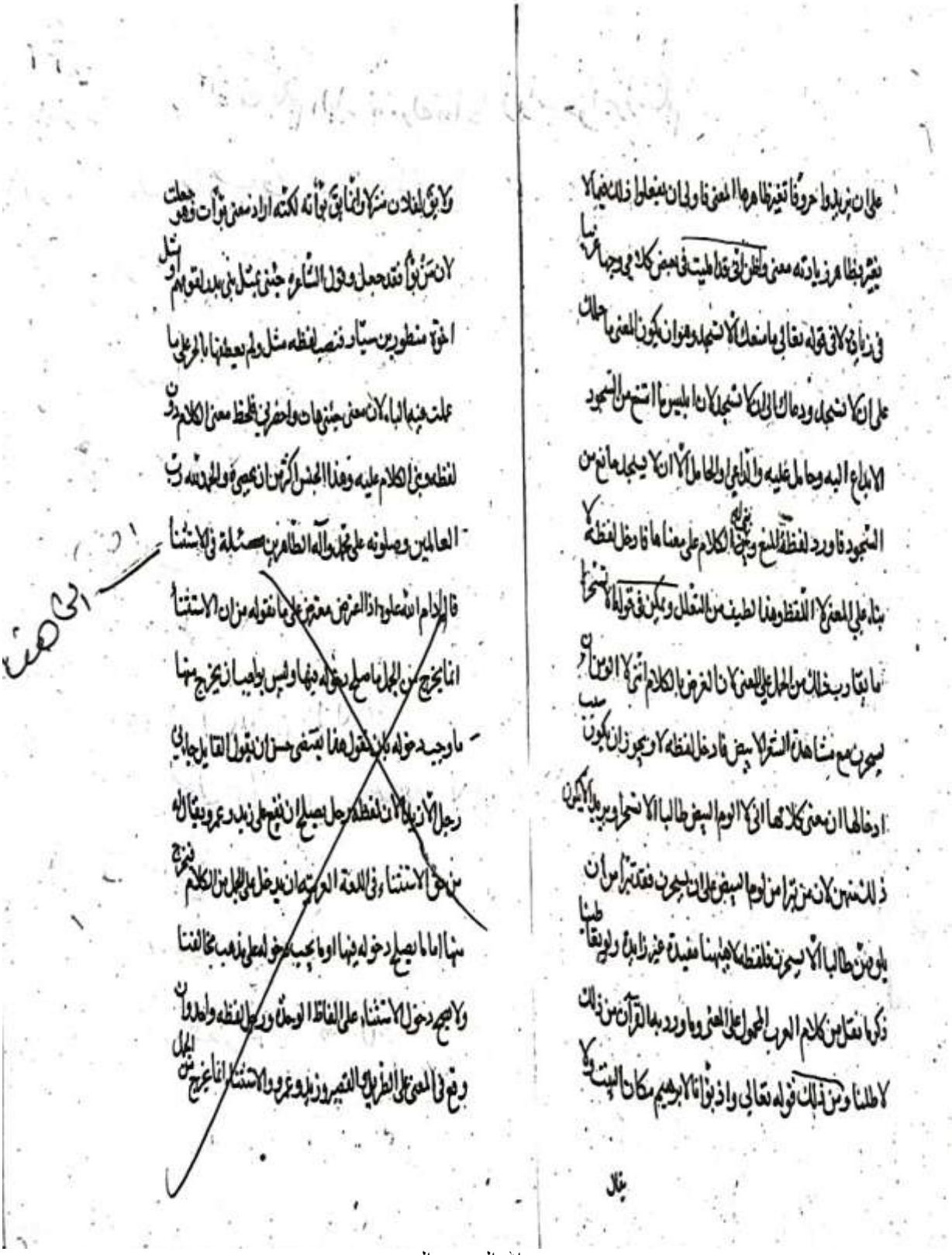

بسم الله الرحمن الرحيم

مسألة في حكم الباء[١٢] في قوله تعالى:(وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ)[١٣].

ليس يمتنع القول[١٤] من دخول الباء وإن لم يقتض[١٥] التبعيض في أصل اللغة، وإنما[١٦] إذا دخلت لغير أن يُعدى[١٧] الفعل بها وعريت من فائدة[١٨] من[١٩] لم يحمل على إفادة التبعيض أن تحمل عليه.

فيقال[٢٠] في قوله تعالى : (وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ)[٢١]معلوم أن الباء ما دخلت هاهنا[٢٢] لتعدية الفعل إلى المفعول، لأنه متعد بنفسه، ومحال أن يكون وجودها كعدمها، فيجب حملها على إفادة التبعيض، وإلا لكان دخولها عبثا.

فإن قيل[١/و]: ألا أُدخلت للتأكيد إذا أريد به أنه يفيد ما أفاده المؤكد من غير زيادة عليه كان عبثا، وتكلمنا على ما يعترض به من قولهم: (جاء زيد بنفسه) و(ضربت زيدا نفسه) قلنا قد بينا في غير موضع من كلامنا المتفرق في مواضع، أن التأكيد وما شاكل ذلك من الألفاظ التي يدعي أنها على سبيل التأكيد، وبينا أن في ذلك أجمع فوائد زائدة على ما في المؤكد.

فإن قيل: ألا كان دخول الباء هاهنا[٢٣] كدخولها في (تزوجت بامرأة) عدولا عن (تزوجت المرأة) و (ما زيد بقائم) و (ليس عمرو بخارج). وليس يمكن ادعاء فائدة زائدة في دخول الباء هاهنا من تبعيض ولا غيره.

وكما زادوا الباء تأكيداً، فقد زادوا حروفاً أُخر على سبيل التأكيد، فقالوا (إنّ في الدار لزيداً) وما دخول هذه اللام إلا كخروجها في إفادة معنى زائد، وما هي إلا للتأكيد. وغير ذلك مما (لا) يحصى من الأمثلة.

الجواب: - وبالله التوفيق- قلنا: أما لفظ (تزوجت) فلا يتعدى إلى المفعول إلا بالباء، وإنما حذفوها في قولهم (تزوجت امرأة) تخفيفاً، كما حذفوها في قولهم: (مررته) والأصل مررت به. ومثل (تزوجت) تمتعت في أنه لا يتعدى بنفسه ، ولا بد من الباء إلا إذا أردت التخفيف فحذفت[١/ظ].

فأما قولهم (ما زيد بقائم) و (ليس عمرو بخارج) فدخول الباء هاهنا يقتضي التعين والتحقق لما خبرته أو مطلق الظن. وليس كذلك[٢٤] إذا أسقط الباء، فكأنه مع إسقاط الباء يخبرك عن اعتقاده، أو عن ظن غير قوي، وإذا أدخلها أخبر عن علم أو قوة ظن.

وكأنّي بمن يسمع بهذا الكلام ينفر منه ويستبعده ويقول من قال هذا ومن سطّره ومن أشار من أهل اللغة الذين هم القدوة في هذا الباب إليه، وليس يجب إنكار شيء ولا إثباته إلا بحجة. وقد علمنا أن أهل اللغة كلهم يقولون قولنا (ليس زيد بقائم) و (ما عمرو بخارج) أقوى من قولنا (ليس زيد قائما) و (ما عمرو خارجا) وأن دخول الباء يقتضي التأكيد والقوة، ولا يزيدون على هذه الجملة في التفسير.

ولو قيل لهم: أي قوة أردتم، أوليس من نفي قيام زيد بغير باء مخبرا أو مثبتا كما هو كذلك مع إدخال الباء لما قدروا أن يفسروا القوة إلا بما ذكرناه إن اهتدوا إليه، وإلا كانوا محيلين على سراب، ويتعذر عليهم أن يشيروا إلى قوة لم يتعد مع إسقاط الباء.

ونحن نعلم أن العلم أقوى من الظن والظن أقوى من الاعتقاد، والظن بعضه أقوى من بعض، فلا يمتنع أن يكون معنى القوة ما ذكرناه.

---

[١٢] اختلف في هذه الباء فقال قوم إنها للتبعيض وبنوا على ذلك جواز مسح بعض الرأس وقال ويروى عن الامام الصادق عليه السلام أنه ((حين قال: "برءوسكم" أن المسح ببعض الرأس لمكان الباء،)) تفسير الميزان - العلامة الطباطبائي:١٣٤/٥ .

والقرافي: ((إنها باء الاستعانة التي تدخل على الآلات وأن المعنى امسحوا أيديكم برؤسكم وهذا ضعيف لأن الراس على هذا ما مسح لا ممسوح وذلك خلاف المقصود وقيل إنها زائدة وهو ضعيف لأن هذا ليس موضع زيادتها والصحيح عندي أنها باء الإلصاق التي توصل الفعل إلى مفعوله لأن المسح تارة يتعدى بنفسه وتارة بحرف الجر كقوله فامسحوا بوجوهكم وكقوله فطفق مسحا بالسوق والأعناق وأرجلكم إلى الكعبين قرىء وأرجلكم بالنصب عطفا على الوجوه والأيدي فيقتضي ذلك وجوب غسل الرجلين وقرىء بالخفض)) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى:٣٠١/١.

[١٣] المائدة :٦.

[١٤] في المخطوط اثبت الناسخ كلمة (فيه) ثم شطبها.

[١٥] في المخطوط (يقتضي) لم يجزم .

[١٦] في المخطوط (وانها).

[١٧] في المخطوط (لغير ان تعدي).

[١٨] في المخطوط(فايدة) بسهيل الهمز.

[١٩] في المخطوط(حتى).

[٢٠] في المخطوط(فيق).

[٢١] المائدة :٦.

[٢٢] (هيهنا).

[٢٣] في المخطوط (هيهنا).

[٢٤] في المخطوط (ككـ اذا).

وبمثل هذا نجيب عن قولهم [٢/و](إن في الدار لزيد) أو (أنك لقائم) لأنهم يقولون: هذا أقوى، وما المراد بالقوة إلا ما ذكرناه، وإلا فما معنى لها.

[زيادة (ما)، و(الكاف)، (الا)]

وربما زادت العرب حروفا طلباً لفصاحة الكلمة وجزالتها، وإن لم يفد معنى زائداً على ذلك، لزيادة (ما) في قول الزباء:

((والله ما ذلك لعدم مراس ولا قلة أواس، ولكنها شيمة ما أناس))[٢٥]

وإنما أرادت شيمة أناس. وقولها:

((لأمر ما جدع قصير أنفه))[٢٦]. وقولهم لأمر ما كان كذا، وقال الشاعر[٢٧]:

..... **لأمر ما يسود من يسوده**[٢٨]

فكما حذفوا للفصاحة في مواضع كثيرة، فإن (سَل القرية) أفصح وأخصر من ﴿**وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ**[٢٩]﴾. وكذلك قد زادوا للفصاحة وتجاوزوا هذا بأن زادوا حروفا تغير بظاهرها -وقبل الاطلاع على المراد بها- المعنى.

ألا ترى أن قولهم: (ليس كمثل فلان أحد)، وقوله تعالى:﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾[٣٠]، الكاف فيه زائدة[٣١]، وهي في الظاهر مغيرة للمعنى؛ لأنها تقتضي أنه لا مثل لمثله، وإنما المراد به لا مثل له. وكذلك قوله تعالى: ﴿**مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ**﴾[٣٢] وإنما معناه: ما منعك أن تسجد. وقول الشاعر[٣٣]:

---

[٢٥] والنص في جمهرة أمثال العرب:١/٦٠ ((والله ما ذاك من عدم مواس، ولا من قلة أواس، ولكن شيمة ما أناس)) ، وفي زهر الأكم في الأمثال و الحكم :١ / ٨٠ ((أما إنه ليس من عدم المواسي، ولا من قلة الأواسي، ولكنه شيمة ما أقاسي)) وكذلك في معاهد التنصيص على شواهد التلخيص :١ / ١٠٣، وينظر: أمثال العرب :١ / ١٤٥، والأغاني :٤ / ٢٢٩.

[٢٦] هذا مثل يضرب في طلب الثأر قالته الزباء لما رأت قصيرا مجدوعا، ينظر: نهاية الأرب في فنون الأدب : ١ / ٢٦٣ ، و((قال ابن الجوزي: ثم إن قصيراً لحق بالزباء هارباً من عمرو بن عدي، فقيل لها: هذا قصير ابن عم جذيمة، وخازنه وصاحب أمره، قد أتاك هارباً، فأذنت له وقالت: ما الذي جاء بك إلينا يا قصير، وبيننا وبينك دم عظيم الخطر؟ فقال: يا ابنة الملوك العظام، لقد أتيت فيما يأتي فيه مثلي إلى مثلك، ولقد كان دم الملك، يعني أباها، يطلب جذيمة حتى أدركه، وقد جئتك مستجيراً من عمرو بن عدي، فإنه اتهمني بخاله لمشورتي عليه في المسير، إليك فجدع أنفي، وأخذ مالي، وجلد ظهري، وقطع آذاني، وحال بيني وبين أهلي، وتهددني بالقتل، وإني خشيت على نفسي، فهربت منه إليك، وأنا مستجير بك، ومستند إلى كنف عزك. فقالت له: أهلا وسهلا، لك حق الجوار، وذمة المستجير)) حياة الحيوان الكبرى : ١ / ٤٩٨، وقيل: ((أنفك منك وإن كان أجدع في القريب السوء. شفيت نفسي وجدعت أنفي، لمن يضر نفسه من وجهٍ ويشتفي من وجهٍ. كل شيءٍ أخطأ الأنف خلٌ. جرحه حيث لا يضع الراقي انفه، للأمر الذي لا دواء له. لأمرٍ ما جدع قصيرٌ أنفه، يضرب في طلب الثأر. ربّ حامٍ لأنفه وهو جادعه، يضرب لمن يأنف من الشيء فتوقعه الأنفة في شيءٍ أشد منه)). التمثيل والمحاضرة : ١ / ٦٧.

[٢٧] وهو أنس بن مدركة الخثعمي. الحيوان : ١/٢١٠ ، والرسائل:١/٢٧٧، وورد شطر البيت هذا في بيت قيل في عضد الدولة: ينظر: يتيمة الدهر : ٢ / ٤٩ و بهجة المجالس وأنس المجالس :١ / ١٣٣، فرحة الأديب :١ / ١٨، البيان والتبيين : ١ / ٣٨٧.

والبيت هو:

أجاب الفضل عنه حاسديه ... لأمر ما يسود من يسود

[٢٨] هذا عجز بيت من البحر الوافر الآتي :

عزمت على إقامةِ ذي صباحٍ ... لأمرِ ما يسوَّدُ مَنْ يسودُ

[٢٩] يوسف:٨٢.

[٣٠] الشورى:١١.

[٣١] وذكر الشيخ الطوسي ((الكاف زائدة للتوكيد، كما زيدت في ليس كمثله شئ والاول الوجه، لأنه لا يحكم بالزيادة إلا للضرورة)). التبيان في تفسير القرآن - الشيخ الطوسي : ٢ / ٣١٩، ((والكاف زائدة مؤكدة لمعنى النفي)) تفسير مجمع البيان – الطبرسي: ٩/ ٣٥،

ولا ألوم البيض إلا تسخرا .....[٣٤]

والمعنى: أن تسخرا، ف (إلا) زائدة، ودخولها مغير للمعنى قبل التأمل.

وأما حملهم طلب التدني على الفصاحة[ظ/٢] على أن يزيدوا حروفا تغير ظاهرها المعنى. فأولى أن يفعلوا ذلك فيما لا يغير بظاهر زيادته معنى.

وأظن أني قد أمليت في بعض كلامي وجها غريبا في زيادة (لا) في قوله تعالى: ﴿**مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ**﴾[٣٥] وهو أن يكون المعنى: ما حملك على أن لا تسجد، ودعاك إلى أن لا تسجد، لأن إبليس ما امتنع من السجود إلا بداع إليه وحامل عليه، والداعي والحامل إلى أن لا يسجد مانع من السجود، فأورد لفظة (المنع) ويبنى الكلام على معناها، فأدخل لفظة (لا) بناء على المعنى لا اللفظ. وهذا لطيف من التعلل.

ويمكن في قوله: (إلا تسخرا) ما يقارب ذلك من الحمل على المعنى، لأن الغرض بالكلام إني لا ألومنّ أن يسخرن مع مشاهدة الشعر الأبيض، فأدخل لفظة (لا). ويجوز أن يكون سبب إدخالها أن معنى كلامها: إني لا ألوم البيض طالبا ألا تسخرا. ويريد ألا يكون ذلك منهن، لأن من تبرأ من لوم البيض على أن يسخرن، فقد برأ من أن يلومهن طالبا ألا يسخرن، فلفظة (لا) هاهنا مفيدة غير زائدة. ولو تعاطينا ذكر ما نقل من كلام العرب المحمول على المعنى، وما ورد به القرآن من ذلك لطلنا.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿**وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ**﴾[٣٦] [و/٣] ولا يقال: لفلان منزلا، وإنما يقال: بوأته، لكنه أراد معنى بوأت وهو جعلت، لأن من بوء فقد جعل، وقول الشاعر[٣٧]:

جئني بمثلِ بني بدرٍ لقومهمُ أوْ مِثْلِ أُسرَةَ مَنْظُورِ بنِ سَيّارِ[٣٨]

فنصب لفظة (مثل) ولم يعطفها بالجر على ما عملت فيه الباء، لأن معنى: جئني هات واحضرني، فلحظ معنى الكلام دون لفظه، وبنى الكلام عليه، وهذا الجنس أكثر من أن يحصى.

والحمد لله رب العالمين، وصلاته على محمد وآله الطاهرين

---

(٣٢) الاعراف: ١٢.

(٣٣) اختلف في قائله، فمنهم من نسبه إلى العجاج ومنهم من نسبه الى ابي النجم.

(٣٤) هذا شطر بيت روي بأكثر من شكل فجاء في كتاب الجمل منسوبا الى الشاعر العجاج كما يأتي:
ولا ألوم البيض ألا تسخرا ... من شمط الشيخ وألا تذعرا
ينظر: الجمل في النحو للخليل : ١ / ٣١٩.
وفي كتاب الخصائص لابن جني : ٢ / ٢٨٣،نسب إلى أبي النجم وكما يأتي:
ولا ألوم البِيض ألاّ تسخرا ... وقد رأين الشَمَط القَفَنْدرا

(٣٥) الاعراف: ١٢.

(٣٦) إبراهيم :٢٦

(٣٧) ديوان جرير, دار بيروت للطباعة والنشر, بيروت, ١٩٨٦م: ٢٤٢.

(٣٨) وهو من أبيات الجمل في النحو للخليل: ١ / ١٣١، الكتاب لسيبويه: ١ / ٣٥، والاصول لابن السراج:٢/٦٥.

الفهرس

فهرس الآيات القرآنية			
الآية	اسم السورة	رقمها	الصفحة
(وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ)	المائدة	٦	١٦
﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ﴾	يوسف	٨٢	١٩
﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾	الشورى	١١	١٩
﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ﴾	الأعراف	١٢	١٩
﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ﴾	إبراهيم	٢٦	٢٠

فهرس الأبيات الشعرية			
البيت	البحر	القافية	الصفحة
..... لأمر ما يسود من يسوده	الوافر	الدال	١٩
ولا ألوم البيض إلا تسخرا		الراء	١٩
جنني بمثلِ بني بدرٍ لقومهمُ أوْ مِثلِ أسرَة مَنظُورِ بنِ سَيّارِ		الراء	٢٠

فهرس الأمثال		
المثل	القائل	الصفحة
((والله ما ذلك لعدم مراس ولا قلة أواس، ولكنها شيمة ما أناس))	**الزباء**	١٨
((لأمر ما جدع قصير أنفه))	الزباء	١٨

المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم .**

١. الأصول في النحو، لأبي محمد بن سهل بن السراج النحوي (ت:٣١٦هـ)، تح: عبد الحسين الفتلي ،ط:٣، مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان ،١٤١٧ هـ ـــ١٩٩٦م.
٢. الأغاني ،لابي الفرج الاصفهاني علي بن الحسين(ت٣٥٦ه) ، شرحه وكتب هوامشه د. يوسف علي الطويل، مطبعة دار الكتب اللمية، بيروت، لبنان، ١٤٠٧ه،١٩٨٦م.
٣. أمثال العرب، للمفضل بن محمد بن يعلى بن سالم الضبي (المتوفى: نحو ١٦٨هـ)، تح: إحسان عباس، ط:٢،دار الرائد العربي، بيروت – لبنان١٤٠٣هـ = ١٩٨٣م.
٤. بهجة المجالس وأنس المجالس، لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (ت: ٤٦٣هـ)،
٥. البيان والتبيين، لعمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ (ت: ٢٥٥هـ)، دار ومكتبة الهلال، بيروت١٤٢٣ هـ.
٦. تبيان في تفسير القرآن ،للشيخ محمد بن الحسن الطوسي (ت٤٦٠ه) ،ط١،مؤسسة ذوي القربى، قم المقدسة ايران، ١٤٣١ه.
٧. التسهيل لعلوم التنزيل، لأبي القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي (ت: ٧٤١هـ)، تح: الدكتور عبد الله الخالدي، ط:١، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم - بيروت١٤١٦ هـ.
٨. تفسير الميزان ، العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي ،تح: اياد باقر سلمان ط١،دار احياء تراث العربي، بيروت لبنان،١٤٢٧ه ـــ ٢٠٠٦م.
٩. التمثيل والمحاضرة، لعبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي (المتوفى: ٤٢٩هـ)، تح: عبد الفتاح محمد الحلو، ط:٢، الدار العربية للكتاب١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م.
١٠. الجمل في النحو، لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت: ١٧٠هـ)، تح: د. فخر الدين قباوة، ط٥، ١٤١٦هـ ١٩٩٥م.
١١. جمهرة الأمثال، لأبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (ت: ٣٩٥هـ)، دار الفكر – بيروت.
١٢. حياة الحيوان الكبرى، لمحمد بن موسى بن عيسى بن علي الدميري، أبو البقاء، كمال الدين الشافعي (المتوفى: ٨٠٨هـ)، ط:٢، دار الكتب العلمية، بيروت١٤٢٤ هـ.

١٣. الحيوان ، لعمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ (ت: ٢٥٥هـ)، ط:٢، دار الكتب العلمية - بيروت١٤٢٤ هـ.
١٤. خصائص، لأبي الفتح عثمان بن جني الموصلي (ت: ٣٩٢هـ)، ط:٤، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
١٥. ديوان جرير, دار بيروت للطباعة والنشر, بيروت, ١٩٨٦م.
١٦. رجال النجاشي , لأبي العباس احمد بن علي النجاشي ,تح: محمد جواد النائيني , دار الأضواء , بيروت ,١٩٨٨ :٢/ ١٠٢-١٠٣ .
١٧. رسائل الجاحظ، لعمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ (المتوفى: ٢٥٥هـ)، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م.
١٨. روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات , للميرزا محمد باقر الموسوي الخوانساري الاصبهاني , تح: أسد الله اسماعيليان , مكتبة اسماعيليان , قم المقدسة , ١٣٩١هـ , ج٤ : ٣٠٣.
١٩. زهر الأكم في الأمثال والحكم، للحسن بن مسعود بن محمد، أبو علي، نور الدين اليوسي (ت: ١١٠٢هـ) ، تح: د. محمد حجي، د. محمد الأخضر،ط:١، الشركة الجديدة ، دار الثقافة، الدار البيضاء ، المغرب١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م.
٢٠. عمدت الطالب في انساب أبي طالب , لأحمد بن علي بن عنبة ' تح :محمد حسين آل طالقاني , النجف الاشرف , الحيدرية , ط٢ , ١٩٦١م :٢٠٥ .
٢١. فرحة الأديب في الرد على ابن السيرافي شرح أبيات سيبويه (يتعقب المؤلف على ابن السيرافي (المتوفى: ٣٦٨ هـ) , في شرحه لبعض أبيات كتاب سيبويه (المتوفى: ١٨٠ هـ))، لأبي محمد الحسن بن أحمد الأعرابي الملقب بالأسود الغندجاني (المتوفى: نحو ٤٣٠هـ)،
٢٢. الفهرست , لأبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠هـ) , تح : محمد صادق ال بحر العلوم , المطبعة الحيدرية النجف الاشرف , السنة ١٣٥٦هـ - ١٩٣٧ م : ١٠ .
٢٣. الكتاب لسيبويه، لأبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر(ت:١٨٠هـ)، تح: عبد السلام محمد هارون، ط:٣،مكتبة الخانجي بالقاهرة ١٤٠٨هـ=١٩٨٨م.
٢٤. مجمع البيان في تفسير القرآن، للشيخ ابي علي الفضل بن الحسن الطبرسي،ط١، دار المعرفة ، بيروت ــ لبنان،١٤٠٦ه ــ ١٩٨٦م .
٢٥. معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، لعبد الرحيم بن عبد الرحمن بن أحمد، أبو الفتح العباسي (المتوفى: ٩٦٣هـ)، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، عالم الكتب – بيروت.
٢٦. معجم رجال الحديث , لأبي القاسم الخوئي , مطبعة الآداب , النجف الاشرف ,١٣٩٣هـ: ٢٣٢/١٤.
٢٧. نهاية الأرب في فنون الأدب، لأحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري، شهاب الدين النويري (المتوفى: ٧٣٣هـ)،ط:١،دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة١٤٢٣ هـ.
٢٨. يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، لعبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي (المتوفى: ٤٢٩هـ)، تح: د. مفيد محمد قمحية، ط:٢، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ١٤٠٣هـ١٩٨٣م.